الفرق بين
الاباضية والخوارج

. . . إن الاباضية لم يسلوا السيف على أحد من أهل التوحيد قط ولم تقع منهم حرب ضد أحد من المسلمين وحتى عند اشتداد الأزمة . . .

الفرق بين الاباضية والخوارج[1]

بقلم : الشيخ أبو إسحاق
إبراهيم اطْفيَّش[1]

كتب أبو اسحاق هذا البحث بناء على طلب الشيخ ابراهيم محمد عبد الباقي من علماء الازهر ، ونشره في كتابه « الدين والعلم والحديث » ص 252 ـ 264 في معرض حديثه عن الفرق الاسلامية ، تحت عنوان « نبذة عن الخوارج » .

وقال مؤلف كتاب الدين والعلم والحديث قبل سياقه للبحث « ولما كان الوقت شحيحا يضن لي بالبحث عنهم ـ أي الاباضية والخوارج ـ والتنقيب ، اتصلت بمن له خبرة بهم ، وهو زعيم طائفة منهم تسمى الاباضية ، هذا الزعيم يسمى أبو اسحاق ابراهيم اطفيش ، موظف بدار الكتب المصرية ، فكفاني مؤنة البحث » كما نشره الشيخ محمد السالمي وناجي عساف في كتابهما « عمان تاريخ يتكلم » ص 103 ـ 114 ، ونشره أيضا الشيخ علي يحيى معمر رحمه الله في كتابه القيم « الاباضية بين الفرق

---

(1)الشيخ أبو إسحاق أطفيش (جزائري ت :1965 م) من علماء الاباضية المرموقين والمحققين ،عاش بمصر وتوفي بها ،شغل منصب مصحح بدار الكتب المصرية .

الاسلامية » ص 468 ـ 476 ـ الطبعة الاولى

الخوارج طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين ، رؤوسهم نافع بن الازرق ، ونجدة بن عامر ، وعبد الله بن الصفار ومن شايعهم ، وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق وعن الامة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك فاستحلوا ما حرم الله من الدماء والاموال بالمعصية متأولين قوله تعالى ﴿وان اطعتموهم انكم لمشركون﴾ فزعموا أن معنى الآية وان اطعتموهم في أكل الميتة ، فأخطأوا في تأويلهم ، والحق ان معنى الآية : وان اطعتموهم في استحلال الميتة . والاستحلال لما حرم الله شرك ، وحين اخطأوا في التأويل لم يقتصروا على مجرد القول بل تجاوزوه الى الفعل فحكموا على مرتكب المعصية بالشرك فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم بالمعصية فاستعرضوا النساء والاطفال والشيوخ .

وقد كان الامام الحافظ الحجة الربيع بن حبيب بن عمرو البصري الفراهيدي الاباضي صاحب المسند الصحيح رحمه الله حين بلغ اليه أمرهم يقول : دعوهم حتى يتجاوزوا القول الى الفعل فان بقوا على قولهم فخطؤهم محمول عليهم وان تجاوزوه الى الفعل حكمنا فيهم بحكم الله .

فلما ظهرت بدعتهم طردهم أصحابنا من مجالسهم وطاردوهم في كل صوب معلنين البراءة منهم ، فلما تجاوزوا القول الى الفعل اعلنوا الحكم بكفرهم ـ لان الكفر في استحلال ما حرم الله نص في كتاب الله قطعي ، وقد استشرى فعلهم يومئذ فاشتدوا على اهل التوحيد بفتنتهم فسلوا السيوف على الرقاب بغير ما أنزل الله فعظمت محنتهم ، فكانت بلاء عظيما .

وقد تولى قتالهم المهلب بن ابي صفرة الأزدي العماني القائد الأموي

المشهور وكان يضع الحديث في استنفار الناس الى قتالهم فعظمت محنتهم المزدوجة : محاربة المسلمين وانتشار الاحاديث الموضوعة في قتالهم حتى بلغت المدى من الشر فزادت الطامة ، ولما كان هؤلاء الخوارج من مكفرّة التحكيم فقد تولى كثير ممن ينتمون الى المذاهب العديدة ادماج الاباضية في هؤلاء الخوارج ظلما وعدوانا والسبب في ذلك عديد المناهج :

أولا : أن اصحابنا الاباضية ـ يرون الملك العضوض لا تجب طاعته بل الواجب أن يكون الحكم على منهاج الخلفاء الراشدين لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر » حديث صحيح متفق عليه ، ولما روى في عمار بن ياسر رحمه الله « ستقتلك الفئة الباغية واستشهد بهذا الحديث منكروا التحكيم ولم ينكره الفريق الآخر فثبت كنص قاطع ارتضاه الفريقان ولو اختلفا في تأويله اذ الفريق الآخر حمله على معنى غير صحيح وانما دعاه الغرض الى حمله على ما يقتضيه ذلك الهوى » .

ثانيا : ظهور أصحاب الأهواء في واقعة النهْرَوان اذ زعموا أنها لأجل الخروج على علي وهو امامهم والحقيقة التي لا مزية فيها ان أهل النهْرَوان لم يخرجوا عن علي قط ولكنهم حين أبوا التحكيم وأصروا عليه جنح أبو الحسن الى فريق التحكيم فرأى منكرو التحكيم ان البيعة لم تكن في اعناقهم بل هم في حل منها حيث ان التحكيم في شيء معناه غير ثابت الحكم والا فلم التحكيم ؟ فاعتبروا التحكيم تنازلا من الامام أبي الحسن عن البيعة ـ اذا منكرو التحكيم في حل من أمرهم فلهم الحق ان يختاروا من يشاؤون اماما لهم فاختاروا رجلا من أفضل الناس يومئذ ومن الصحابة الكرام وهو عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي ، فلما بايعوه بعثوا الى أصحابهم يومئذ ومنهم الامام علي ان يدخلوا في البيعة لمن اختاروه اماما .

فرأى علي بن أبي طالب أن البيعة حصلت لأزدي لا لقريشي وحاربهم قبل أن يتقوى أمرهم فتخرج الامامة لغير قريش ، وهذا هو السبب الوحيد لواقعة النهروان .

لهذا دعاهم حين ناظرهم الى ان يحاربوا عدوهم معاوية ومن معه ولكن الأمر قد فات فقد أخذ الأمر معاوية من الحكين : عمرو بن العاص وأبي موسى الاشعري في دومة الجندل فأصبح المسلمون في حل من أمرهم ، لأن بيعة عبد الله بن وهب لم يقع الا بعد حصول النتيجة بوقوع ما حذر منه أولو البصائر من منكري التحكيم ـ وهو أن التحكيم تلاعب بالأمر تولى كبر الدعوة اليه الأشعث بن قيس الذي دس على أصحاب علي من قبل معاوية .

وليس اذا ما يزعمه محرفو التاريخ ومتعفنة المذهبية ان واقعة النهروان كانت بسبب الخروج على علي لأنهم لم يخرجوا والبيعة في أعناقهم فليتنبه المتبصر من الزلة في هذا المقام فان الأهواء متغلغلة في أصحابها بما لا خفاء فيه .

الثالثة : ان تسمية الخوارج لم تكن معهودة في أول الأمر وانما هي انتشرت بعد استشراء أمر الأزارقة كما قلنا ولم تعرف هذه التسمية في اصحاب علي المنكرين للتحكيم والراضين به ولعل أول ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الأمر لمعاوية والاستقرار فيه حين زاده الأحنف بن قيس التميمي وهو من أهل النهروان فقال معاوية : لماذا أحبك الناس وأنت من الخوارج فقال له الأحنف لو عاب الناس الماء ما شربته .

يعني الذين لم يرتضوا بيعته والدخول في أمره.ـ راجع الأمالي لأبي علي القالي .

أترى أن معاوية يصف الأحنف بن قيس بالخارجية لأنه كان مع من

حاربهم علي يوم النهروان أو لأنه لم يكن في بيعة معاوية ، ولو كان وصف معاوية للأحنف بالخارجية لكونه من أهل النهروان لكان معاوية ومن معه أولى بهذا الوصف لأنه هو الذي سل السيف ضد علي ومن معه يوم صفين ولأنه هو الذي جنح عن بيعة الامام علي ، والحال قد بايعه أهل الحل والعقد فأصبحت بيعته حقا يجب اتباعه والدخول فيه على كل واحد من المسلمين .

الرابعة : ان الاباضية لم يسلوا السيف على أحد من أهل التوحيد قط ولم تقع منهم حرب ضد أحد من المسلمين وحتى عند اشتداد الأزمة من الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه فقد اشتدوا في مطاردة المسلمين لمجرد الظنة حتى خرج عليهم التوابون وعلى رأسهم سعيد بن جبير وابراهيم النخعي وهما امامان وقد قتل الحجاج سعيد بن جبير أحد أئمة التفسير والعجب كل العجب ان هذه المجموعة الكبرى من العلماء الذين حملوا السيف أمام الجور الذي ظهر بفظاعة من الحجاج لم يطلق عليهم أحد اسم الخوارج بل اطلقوا عليهم اسم التوابين وهم كلهم من حملة لواء العلم وماتوا جميعا في القتال ما عدا ثلاثة فيما يبدو : سعيد بن جبير وابراهيم النخعي وعبد الله بن مطرف . فان العقل يقف مشدوها أمام هذه الفاجعة الكبرى ومع ذلك تمر على القراء بسلام .

ولكن الذي يمحص التاريخ بأنصاف وعلم يرى في اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية ـ وهم من الخوارج براء ـ مغزى وهو أنهم رأوا أن الامامة لا تختص بقريش بل هي تصح لكل من اختاره المسلمون لسياسة دولتهم ورياستها وهذا هو الحق الذي دل على كمال البصيرة اذ ليس من الحكمة ان يجعل الله أمر البشر على سائر أجناسه وأممه تابعا لقبيلة واحدة سواء أحسنت أم أساءت والوضع الطبيعي في البشر هو الذي أيد ما ذهب اليه

أصحابنا وحملوا عليه حديث « الأئمة من قريش » ومن المكابرة ومجانبة الحق أن يزعم الزاعمون اختصاص سياسة الأمم بقريش ولم يرتضه الأنصار وهم أهل الفهم لما بعث به محمد صلوات الله وسلامه عليه حين قالوا لأبي بكر منا أمير ومنكم أمير ، ولا أبو بكر حين رد على الأنصار بقوله : منا الأمراء ومنكم الوزراء ان العرب تدين لهذا الحي . يعني قريش فعلل الحكم بانقياد العرب لقريش لا لشيء آخر مما يزعم أهل الأهواء السياسية والمذهبية . أترى الأمم على سائر أجناسها تنقاد الى رجل من قريش لمجرد أنه قريشي ؟ كلا والله .

خامسا : ان الاباضية يبتغون العدل وينشرون العمل بالكتاب والسنة والسير على مناهج السياسة التي سار عليها الخلفاء الراشدون سواء قام بالأمر قرشي أم حبشي . عربي أم عجمي كما ورد في أحاديث صحاح لهذا ارتضوا سيرة عمر بن عبد العزيز حين أرسلوا اليه وفدا من البصرة يتألف من ستة علماء جهابذة : جعفر بن السماك وأبو الحر علي بن الحصين العنبري والحتات بن كاتب والحباب بن كليب وأبو سفيان قنبر البصري وسالم بن ذكوان ـ وربما كانوا أكثر من هؤلاء الا أن الذين وقفت على اسمائهم هم هؤلاء رحمهم الله جميعا وحيث ذكر مؤرخو قومنا وفود هؤلاء على عمر بن عبد العزيز قالوا كعادتهم في الغمز : أرسل اليه الخوارج وفدا . ولم يذكروا ما جرى بينهم وبين الخليفة عمر من الحديث وقبوله منهم كل ما أرادوه منه من نشر العدل وتطهير البلاد والمنابر من اللعن الذي اتخذه الأمويون سنة فان الوفد قال له ان المسلمين يلعنون عليّا على المنابر فلا بد من الشروع في تغيير المنكر فابدل اللعن بقوله تعالى ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ لم تسمح نفوس أولئك المؤرخين الذين أعمت

بصيرتهم الاهواء أن يذكروا تلك المناقب التي ظهرت من الاباضية من نشدان الحق والوقوف في وجه الظلمة بالمساجلة كما فعل الامام عبد الله بن أباض مع عبد الملك ابن مروان . وأبو بلال مرداس بن حدير مع زياد بن أبيه ولم يسلوا السيف كما فعل الخوارج ، بل سلكوا سبيل البيان معرضين عن السنان لأنهم يرون عصمة الدم بالتوحيد لا اله الا الله وعصمة المال كذلك ولم يكن منهم ما كان من أعمال غيرهم في سبيل تأسيس السلطان أو حمل الناس على اعتناق مذهبهم بالسيف وقطع العذر بل تركوا الناس أحرارا في أرائهم وأعرضوا عن الدنيا ان كانت بغير حلها وتركوا لأرباب المذاهب مذاهبهم في حرية تامة لأنه لا اكراه في الدين فالحق مقبول من أي كان والباطل مردود على صاحبه محمول عليه فأهل القبلة عندهم كافة سواسية في الحق والحرية في الاعراب عن آرائهم الفرعية والحرية كفيلة لكل الناس بعد الاعتراف لله بالوحدانية والحرية هي الأصل في الانسان حتى ان المكاتب عندهم حر من أول يوم وما كاتب به فدين عليه يؤديه ولم يقل بهذا غير الأباضية لأنهم أدركوا من الشريعة ما فاقوا به سواهم .

فبان عنهم الخوارج بما ذكرنا من شنائعهم وكبائرهم ، ولم تكن لهم صلة بالأباضية حتى يقال أنهم خوارج . ولقد كشفت للمنصفين من قومنا هذه الفروق فأدركوا الحق واعترفوا به . والرجوع للحق فريضة وفضيلة .

سادسا : الأباضية يجيزون المناكحة بينهم وبين سائر الموحدين والخوارج لا يجيزون التناكح مع غيرهم لأنهم يرون سواهم مشركين كما بينا وأوضحنا وعلى هذا لا يجوز أيضا التوارث بينهم وبين من يخالفهم بطبيعة الحال لأن الشرك الذي منع المناكحة والمصاهرة يمنع الموارثة . فهل تعامى عند هذه الفروق الذين تعفنت نفوسهم وأصيبت أبصارهم بالعشي ذلك ما يشاهده الذي يقلب أطوار التاريخ في مدونات قومنا ولم يعتبروا قوله

سبحانه (ان الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) وقوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

ان المسلم ليحار من أمر أولئك المتقولين على أهل الحق والاستقامة ـ الأباضية ـ كيف استساغوا ذلك لأنفسهم لا لشيء الا للهوى والشهوة الخفية نعوذ بالله من الهوى وانكار الحق .

أولا يتذكرون أنهم سيلاقون الله بذلك الافك . ام اعتقاد الخروج من النار هون كل شيء في سبيل الهوى .

سابعا : الأباضية اتجهوا الى خدمة الاسلام علما وعملا منذ ابتدأت الفتنة فاشتغلوا بالتدوين فكانوا أول من دون الحديث فامامنا جابر بن زيد أول من دون الحديث وأقوال الصحابة في ديوانه الذي وصفوه بأنه وقر بعير ، ثم تلاميذه من بعده وهم حملة العلم الى المشرق والمغرب ، والخوارج جنحوا الى اراقة الدماء واخافة السبل وتعطيل الاحكام ولم يذكر عن أحد من الخوارج ألف كتابا والذين يذكرون المؤلفات للخوارج انما يذكرون الأباضية وهم دون شك يريدون بهم التشنيع والتشغيب أما الصفرية والازارقة والنجدية فلم تذكر لهم رواية ولا تدوين ولو انفرد نجدة بن عامر برواية حديث ونافع بن الأزرق بأسئلة سألها ابن عباس ليس هذا محلها وأريد أنهم جنحوا الى الحروب لا الى التأليف ورواية العلم وكل من ذكره قومنا من رجال العلم ونسبوه للخوارج فليسوا الا من الاباضية ، ولقد أتى أصحابنا في تدوين العلوم بالعجب العجاب وعرفوا بالصدق والامانة والورع ما لم يبلغ شأوة غيرهم فلجأ بعض الكاتبين من قومنا الى تشويه الحقائق بالدعاية الفاجرة والبهتان حين بهرتهم تلك الانوار الساطعة وما خلطوا بين الاباضية والخوارج الا لطمس معالم الحق والصواب حسدا

من عند أنفسهم وأنى لمن اتخذ التشغيب مطية أن يعترف بالحق والصواب وقد عميت بصيرته . وانك لترى لهؤلاء من العمل على اخفاء ما يرونه من أصحابنا من الكمال الديني والعظمة العلمية ما جعلهم يذكرون لهم في موجب الذكر شيئا ، واني رأيت مؤلفات دونت في التاريخ والادب والفروع لبعض قومنا يستوجب المقام ذكر أصحابنا لما لهم فيها دون من الضلع فلا يتورع أن يتجاهل ذكرهم كأنهم لم يكونوا ، وذلك مبلغة وامعانا في طمس الحق . ولا تجد من أصحابنا شيئا من هذا الاسلوب الشنيع والحمد لله العلي الكبير .

ثامنها : ان قومنا حين جمعوا الحوادث التاريخية واقتضت الحال أن يذكروا أصحابها فشلوا في قيل الصواب فخلطوا بين الأباضية والخوارج فتارة ينسبون الأباضية للخوارج وتارة ينسبون الخوارج الى الأباضية كما يفعل الكثير من المدونين في الاصول والفروع في اضافة أقوال المعتزلة الى الأباضية والعكس مما أوجب التخليط والتشويش فيذهب المؤلفون الذين يعتمدون على النقل الى ما هو أشبه بالتهريج ولا عذر لهم عندي مطلقا لان الذي ينشر الحق يطلبه من ينبوعه لا أن ينتحله حسب هواه .

انا نجد من يزعم ان ابا بلال مرداس بن حدير من الخوارج وقطري بن الفجاءة من الأباضية والامر على عكس من ذلك وآخر يذكر أن الامام طالب الحق عبد الله ابن يحيى الكندي هو الامام عبد الله بن أباض والحق خلاف ذلك اذ الامام عبد الله بن أباض توفي آخر أيام عبد الملك بن مروان ، وعبد الله بن يحيى طالب الحق ظهر أيام مروان الحمار سنة 130 هـ وهكذا يخلط الكاتبون من قومنا هذه الحقائق الهامة تشويها وتشغيبا وانظر الى تاريخ الاندلس الذي يوجد بين أيدينا اليوم ولا تجد للاباضية ذكرا والحال أن الأباضية بلغوا في الأندلس مبلغا عظيما من العلم

والمال حتى أن جزيرة اليابسة التي هي من الأندلس كانت كلها أباضية الى القرن السادس بل الى نكبة الأندلس الكبرى .

وانك لتقرأ طبقات ابن سعد مثلا فلا تجد ذكرا لرجال الأباضية عدا الامام جابر بن زيد فانه ذكره رغم أنفه لشهرته التي اطبقت الآفاق وهكذا . والحق الذي لا ريب فيه ان رجال كل قوم قومهم أولى بهم والتاريخ أهله أولى وأعرف به من سواهم **(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)** .

ولقد استوجبت بدعة الخوارج أحكاما شرعية ، قال المسلمون يجب الفرز بين الكبائر حتى لا يقع الانسان في جريمة الخوارج فالكبائر قسمان كبائر الشرك وهي كل كبيرة أخلت بالاعتقاد كاستحلال ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو انكار ما علم من الدين بالضرورة أو جحود حكم قطعي كالرجم الى أمثالها وكبائر النفاق ، وهي كبائر الكفر بنعمة الله - وهي ما يطلق عليه عند أهل الحديث كفر دون الكفر - وهي كبائر الفسق عند قومنا - وذلك كارتكاب فاحشة من الزنى والاتيان في الاعجاز أو أكل الحرام أو شهادة الزور أو عقوق الوالدين وما أشبه ذلك من كبائر عملية . وكترك فريضة من فرائض الله غير مستحل كل ذلك يسمى عند أصحابنا بكبائر النفاق وكبائر الكفر بالنعمة واذا أطلق أصحابنا الكفر انصرف بالقرينة الى الحكم فيه هل هو مما يخل بالعقيدة أو هو من الفعل أو الترك فيدرك نوع الكفر أهو كفر نفاق أو كفر شرك على أن أصحابنا لا يكفرون تشهيا ولا يكفرون أهل القبلة ما دانوا بكلمة الاخلاص والحق انهم انفردوا بذلك ولو ادعاه أرباب المذاهب واذا أدركت هذا علمت أن بين الأباضية والخوارج بونا بعيدا لا يجمع بينهما جامع الا انكار التحكيم وهو الحق الذي يؤيده كتاب الله وسنة رسول الله وسيرة العمرين واجماع

المسلمين . فشد يدك على الحق (**ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم**) .

وقد قال بعض أصحابنا وبه قال قومنا أن الخوارج ينكرون الرجم والذي عندي ان هذا القول غير صحيح الا اذا نظرنا الى حكمهم بأن مرتكب الكبيرة مشرك حلال الدم فان الزاني عندهم يقتل ردة لا حدا وهذا متفرع عن حكمهم قطعا لا يحتاج الى دعوى نكران الرجم ولكن الأمر عندي ليس كما يتوهم وانما زعم من يزعم من قومنا أن الخوارج ينكرون الرجم فيه مغمز ، لكنه يعود على الزاعمين بطامة . وذلك ان قومنا رووا انه كان مما يتلى في كتاب الله في سورة الاحزاب الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فأكلته العنزة . فيترتب على هذه القالة ان القرآن وقع فيه نقص والعياذ بالله وهذه الطامة تلازمهم وان فروا منها بزعم أنه مما نسخ لفظه وبقى حكمه ، ولكن أصحابنا يقولون الرجم فرض لا من القرآن ولكن من الحديث فقد روى الحافظ الحجة الامام الربيع في صحيحه عن الامام جابر بن زيد :

« الاستنجاء والاختتان والوتر والرجم سنن واجبة » فصان الله الاصحاب من الخطل والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

أبو اسحاق ابراهيم اطفيش